طه حسين (١٨٨٩م - ١٩٧٣م)

حياته ومنهاجه الفكريّ والادبيّ

الدكتور محمد اسحاق*

هو من رواد الآداب العربيّة الحديثة، له اسلوب خاص فى فن الرواية والمقالة، يجمع ميزات الآداب الغربية الحديثة ومميزات الآداب الشرقية القديمة، لذالك يستغلّ مكاناً رفيعاً يمتاز بمنهاجه الفكرى والادبى.(١)

موجزاً عن حياته : ولد طٰه حسين سنة ١٨٨٩م فى قرية (كيلو) الّتى تقع قريبة من مدينة "المغاغة"، وهذه المدينة فى صعيد مصر على شاطئى النيل. كان والده موظّفاً فى مصنع السّكر وكان طٰه حسين سابعاً من اولاده، وقد ذكر طٰه حسين فى روايته الذّاتيةِ "الأيّام" بانه مرض حينما كان فى السنة الثالثة من عمره، فاخذه اهله الى معالج فى القرية ففقد البصارة، ولكن الله تبارك وتعالىٰ كافأه بذكاء خاص، انه استظهر القرآن اولاً، ثم استظهر نخبة من الشعر والنثرمن امهات الكتب، ثم التحق بالازهر وكان فى السنة الثالثةعشر، وقد كتب فى "الايام" كيف كان يشتاق للالتحاق بالازهر، فتعلم اللغة العربية وآدابها وعلوم الدين فى الازهر، ولكنه لم يكمل الدراسة لانه كان يرى ان المنهج الدراسى فى الازهر ليس بصحيح، على كل حال، انه استفاد من دروس الاستاذ الشيخ سيد المرصفى الذى كان يدرس "الكامل" للمبرد و "الامالى" لابى على القالى والحماسة لابى تمام، وتاثر من الحركات الاصلاحية التى كانت تنادى الى النهضةمثل حركة الشيخ محمد عبده وحركة لطفى السيد.

١٩٠٩م التحق بالجامعة الاهلية وتعلم من الاساتذة الفرنسيين المستشرقين مثل نالينو، وجويدى، وتعلم اللغة الغرنسية (٢)، ونبع فيها، انه وجد منهجا جديدا للدراسة ومقاييس قيمة للنقد، فى الجامعة الاهلية سنة ١٩١٤م، كتب بحثا للدكتوراه عن ابى العلاء المعرى (٣٥٣هـ ٤٤٩هـ)

---

* استاد مساعد قسم اللغة العربية. جامعة كراتشى

(٣١)

وحصل على شهادة الدكتوراه، واساتذة الجامعة اعجبوا باسلوبه ومنهاجه فى البحث، فارسلوه الى فرنسا للدراسات العالية فى الآداب (٣) فالتحق بجامعة "مونبلييه" فتعلم فيها العلوم التاريخية والفلسفة ثم التحق بجامعة باريس وتعلم فيها اللغة اللاتينية واللغة اليونانية، ثم التحق بجامعة "سوربون" وكتب بحثا عن "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" ومنحت له شهادة الدكتوراه واثناء مكثه فى فرنسا قرأ كتبا كثيرة عن الآداب الفرنسية الجديدة (٤)

حينما رجع طه حسين الى مصر عين استاذ فى الجامعة الاهلية حتى اصبح رئيس الجامعة، ثم وزيرا فى وزارة المعارف والتعليم، انه قضى حياته مكافحا لمحو الامية والجهل والجمود الفكرى والعلمى والتقليد الاعمى حتى مات سنة ١٩٧٣م (٥)

منهاجه الفكرى والادبى: هو علم من اعلام النهضة الحديثة فى الادب والثقافة والسياسة كان يريد ان يصبغ الامة العربية بالمثل الغربية الحديثة.

يكتب الاستاذ محمود تيمور عن فكره وفلسفته واسلوبه ومنهاجه. "استاذنا طه حسين تتبلور فيه ازكى نفحات النهضة العربية الحديثة من دعوات وهتفات فى الوطنية والسياسة وفى العلم والدين وفى الثقافة والادب، فهو خلاصة مركزة لاعلام تلك النهضة" : مصطفى كامل ومحمد عبده وقاسم امين وسعد زغلول ولطفى السيد واشبا هم القليلين، اولئك الذين اوقدوا نار الثورة وأضاؤا منارالحرية وحملوا لواء التقدم والتطور وهو بذالك اعرف المعارف بين الشخصيات البارزة فى عصرنا الحاضر فما هو اذن بحاجة الى تعريف، ومن يحاول ذلك فهو فى الحق يحد من نطاقه غير المحدود ويبغى ان يقرب الى الأنظار هذا الافق البعيد ولكن مع ذلك يطيب لى ان اوجز تعريفه فى بضعة عناصر:

١. فكر مستقل ٢. روح خيرة ٣. صبغة فنان.

بالفكر المستقل استطاع "طه حسين" ان يبث فى حياتنا العقلية والادبية معنى الحرية باقوى ماتدل عليه ويبث فينا نزعة التجديد باكرم ماتشيراليه، حين شرع فى مطلع حياته يدرس الادب العربى كان اجلى مظهراً له فيما درس، انه لم يذعن لما تواضع عليه السابقون من آراء وماساقوه من احكام، ولم يستسلم لما تعارف عليه معاصروه من طرائق البحث وانماط التاليف، ومن ثم كان اول كتاب اخرجه منذ نصف قرن. هو فى الواقع اول كتاب فى ادبنا العربى يدرس بيئة الاديب وشخصيته والموثرات التى اعتملت فيه على هذا النهج الذى تجلى فى كتاب "ذكرى ابى العلاء"، ثم توالت بحوثه ودراساته من بعد، فى النقد الادبى، وفى الاصلاح التعليمى وفى التوجيه الاجتماعى وفى التثقيف بوجه عام، فكانت فى جملتها مثلا عاليا لاستقلال الفكر وجدة الرأى

(٣٢)

وتميز الملامح الخاصة في كل مايعبر به ويدعو اليه. وبالروح الخيرة مضى "طه حسين" يرسم لنفسه سلوكا انسانيا رفيعا لم يحد عنه حين جرى قلمه بتصوير الحياة والاحياء، وبالتعبير عن الوجدان الاجتماعي، في اصالة، وصدق، ولم يحد عنه كذلك حين تعرس بالمناصب استاذا وعميدا جامعيا، وزيرا ورجل من رجالات الدولة، له سلطاته ومشورته وتوجيهه في جلائل الاعمال (٦)

الا نتاج الادبي لطه حسين

١) "في الادب الجاهلي" ا شهر كتبه في الادب العربي الحديث الذى كتبه سنة ١٩٢٦م وهو يكتب في مقدمة الطبعة الثانية :-

"هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل واثبت مكانه فصل واضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير وانا ارجو ان اكون قد وفقت في هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون ان يدرسوا الادب العربي عامة والجاهلي خاصة من منهاج البحث وسبل التحقيق في الادب وتاريخه وهو على كل حال خلاصة مايلقى على طلاب الجامعة في السنتين الاولى والثانية في كلية الاداب (٧)

اتخذ طه حسين منهجا جديدا في درس الادب وتاريخه واسس بنيانه على فلسفة الريب والشك، بان يشك الانسان في كل شئ عن صحته، ووجوده حتى يثبت وجوده وصحته، اما بالادلة واما بالتجربه فهو يكتب عن منهجه في البحث :-

"احب ان اكون واضحا جليا وان اقول للناس ما اريد ان اقول، دون ان اضطرالى ان يتأولوا ويحملوا فيذهبوا مذاهب مختلفة في النقد والتفسير والكشف عن الاغراض التى ارمى اليها اريد ان اريح الناس من هذا اللون من الوان التعب وان اريح نفسى من الرد، والدفع والمناقشة فيما لايحتاج الى مناقشة اريد ان اقول انى ساسلك في هذا النحومن البحث مسلك المحدثين من اصحاب العلم، الفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، اريدان أصطنع في الادب هذا المنهج الفلسفي الذى استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الاشياء في اول هذا العصر الحديث"

والناس جميعا يعلمون ان القاعدة الاساسية لهذا المنهج هى ان يتجرد الباحث من كل شى كان يعلمه من قبل وان يستقبل موضوع بحثه خالى الذهن مماقيل فيه خلوا تاما. (٨)

ننتقد هذا المنهج علما وعملا حينما نتكلم عن اسلوب طه حسين وفكره وفنه، كثير من الادباء والكتاب وعلى راسهم اديب شهير الشيخ مصطفى صادق لرافعى هجم هجوما عنيفا على كتاب طه حسين، تناول الرافعى هذا الموضوع في كتابه "تحت راية القرآن".

٢) حديث الاربعاء (ثلاثة اجزاء)(٩): هذه مجموعة مقالات صحفية ادبية تناول فيه المباحث عن الشعر والنثر فى العصرين، الاموى والعباسى

من اهم موضوعات المجموعة هى :-

(١) اثناء قرأة الشعرا القديم (٢) الغزلون قيس ابن الملوح او مجنون بنى عامر (٣) الجهاد بين القديم والجديد (٤) الشعر فى العصرا الاموى (٥) الشعر فى العصر العباسى (٦) الاندية الادبية (٧) تمثيل ابى نواس لعصره (٨) كيف نفهم التاريخ (٩) خاتمة القول فى ابى نواس (١٠) بشار بن برد (١١) السيد الحميرى (١٢) العلويون والعباسيون . (١٠)

وقد كتب طه حسين يعرف هذه المقالات :-

"وانما اسمى هذه الاسطر مقدمة لان الناس تعو دوا تسمية مثلها فليست هى فى حقيقة الامر مقدمة وما كان مثل هذا السفر ليحتاج الى مقدمة وقد قرء الناس فصوله كلها فى "السياسة" "والجهاد" فهم يعرفونها بانفسهم ولا يحتاجون الى ان يقدمها اليهم احد (١١)

٣) ذكرى ابى العلاء : ١٩١٤م انه كتب بحثا عن ابى العلا المعرى فى جامعة القاهرة وحصل على شهادة الدكتوراه، طبع هذا الكتاب مرة اخرى باضافات جديدة (١٢) وسمّاه "تجديد ذكرى ابى العلاء" ان الشيخ عبدالحميد آفندى قام بطبع هذا البحث فطبع هذا البحث ١٩١٥م الموافق سنة ١٣٢٤ه (١٣) وان الاستاذ عبدالعزيز الميمنى، استاذ قسم اللغة لعربية جامعة كراتشى كتب ردا عليه بعنوان "ابو العلاء المعرى وما اليه (١٤) "

٤) "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية": هذا ايضا بحث كتبه طه حسين فى جامعة سوربون الفرنسية وحصل على شهادة الدكتوراه (١٥)

٥) روح التربية : انه ترجم كتاب "لبون الفرنسى" فى علم التربية والنفس سنة ١٩٢٤ه

٦) قادة الفكر : هذا الكتاب يحتوى على تطور فكرى وثقافى فى الغرب كتبه ١٩٢٥م

٧) احاديث : مجموعة مقالات ادبية رائعة وروايات قصيرة التى اختارها طه حسين من الآداب الفرنسية (١٦)

٨)الايام : (ثلاثة اجزاء) (١٧) فى هذا الكتاب ان طه حسين سجل باسلوب ادبى رائع سيرته وتاريخ حياته، وهذا النوع من النثر يسمى) Auto-biography (نشر هذا الكتاب اولا فى مجلة

"الهلال" طبع الجزو الاول ١٩٢٩م والطبعة ٢٩ سنة ١٩٧٩م

٩)رحلة الربيع والصيف: ان طه حسين سافر الى اوربا ١٩٢٨ء وزاراماكن كثيرة وسجل احاسيسه وخلجاته وذكر ياته القديمة، طبع هذا الكتاب لاول مرة ١٩٣٢م وسماه "فى الصيف" وفى طبعة السادسة غير عنوان الكتاب وسمّاه "رحلة الربيع والصيف" (١٨)

١٠)على هامش السيرة : ان طه حسين كتب قصصا كثيرة عن السيرة النبوية وسير الصحابةً باسلوب رائع، نرى فيها مقومات القصة الجديدة ١٩٣٣م وسمى هذا الكتاب "على هامش السيرة" وله ثلاثة اجزاء (١٩)

١١) من حديث الشعر والنثر: طبع هذا الكتاب ١٩٣٤م وان طه حسين ناقش فيه مميزات الشعر والنثر فى العصر العباسى. (٢٠)

١٢) من بعيد : ١٩٣٤م طبع كتابه " من بعيد" الذى يحتوى على مقالاته التى كتبها حينما كان فى اوربا، هذه مقالات عن الادب والثقافة والفلسفة فى الغرب والشرق وفيها مقالة مهمة عن فلسفة الريب لديكارت. (٢١)

١٣) اديب: وفى نفس السنة طبعت روايته الادبية "اديب" ذكر فيها سيرة صديقه حينما كان فى فرنسا. (٢٢)

١٤) مع المتنبى : ١٩٣٦م طبع كتابه "مع المتنبى" عن حياته وشعره وانتقد طه حسين شعره على اسس النقد الجديد . (٢٣)

١٥) القصرا لمسحور:وفى نفس السنة طبع كتابه القصر المسحور. (٢٤)

١٦) مستقبل الثقافة فى مصر: (٢٥) ١٩٣٩م ان طه حسين كتب كتابا عن منهج التعليم والتربية فى مصر ماذا كان يحس ويرى وكان مستشارا حكوميا فى وزاراة التعليم والتربية. وترجمهSIDENY GLAZER الى الانجليزية (The future of culture in Egypt)

١٧) الوعد الحق : هذه رواية تاريخية كتبها طه حسين فى ايطاليا فى مدينة "سيلان" بموضع "بيركيفى" سنة ١٩٤٩م فى هذه الروايه يذكرلنا طه حسين تفسير هذه الآية.

"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون

بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفسقون .

يذكر قصة ياسروّ سميةّ وعمارّ كيف كانوا مستضعفين فى الارض فى الجاهلية وكيف أعزهم الله فى دين الاسلام واكرمهم.(٢٦)

١٨) **المعذبون فى الارض** : هذا كتاب يحتوى على قصص قصيرة لطه حسين طبع هذا الكتاب ١٩٤٨م (٢٧)

١٩) **احلام شهرزاد** : هذه رواية من روايات طه حسين. اخذ مغزاها من "الف ليلة وليلة" . (٢٨)

٢٠) **صوت باريس** : هذه قصص قصيرة ترجمها طه حسين من اللغة الفرنسية الى اللغة العربيه. (٢٩)

٢١) **ماورآء النهر** : هذه ايضا رواية من روايات طه حسين ولكن لم تنتهى ولم تطبع.

٢٢) **شجرة البئوس**: (٣٠) هذه روايه باسلوب جديد، عالج فيها الدكتور المشاكل الاجتماعية التى تواجهها الانسان المصرى فى المدن والقرى فى ذلك الوقت وخاصة ان طه حسين ناقش فيها التغير الذى وقع فى كل شئى بتغير الثقافةوالحضارة والصناعة حيث ان المجتمع المصرى اخذ يلبس لباس المجتمع الصناعى وان طه حسين كتب فى "الاهداء" "هذا صورة للحياة فى اقليم من اقاليم مصر آخر القرن الماضى و اول هذا القرن نقلتها من صدرى الى القرطاس اثناء الرحلة فى لبنان فمن طبعه ان اهديها الى هذا البلد الكريم، اعترافا بما اهدى الى من معروف وما اسدى الىّ من يد" : هذه اروع الروايات لطه حسين.

٢٣) **الحب الضائع** :هذه رواية ايضا (٣١)

٢٤) **جنة الحيوان** : (٣٢) هذه مقالات ادبية وسجل طه حسين، فيها ما يريد ان ينتقل الى القراء تلميحا ورمزا.

٢٥) **بين بين**: (٣٣) هذه مقالات ادبيه صحفية ايضا، من مقالات هذا الكتاب "بين الادب والسياسة، جد وهزل" حوارفى الادب، الوسائل والغايات، جوع واحاديث . ان طه حسين كتب كتبا كثيره عن مباحث مختلفة منها:

(٢٦) مرآة الاسلام (٢٧) عثمان (٢٩) على وبنوه (٣٠) الشيخان (٣١) ونظام الاثنين (٣٢)

ان طه حسين عاش اعمى بالعين ولكنه كان بصيرا بالقلب كما يقول ك. ملاخ : "ولكن رحمة الرحمٰن وهبته قدرا اكبر مما حرمته السماء مع القدر وهبته العزيمة والا مل. فاعطاه الله ذلك الضوء الفكرى السحرى لبصيرته، واغناه بذاكرته فاصبح يكبر مع الروى، واصبحت صلته، بالناس اكثر واكثر عن طريق اربع حواس، لعل ادقها كان السمع. يراهم ويعرفهم بل ويحبهم اويبتعد عنهم من خلال اذنيه.

فكان طه حسين طوال ٨١ سنة من حياته التى طالت ٨٤ عاما، حقق المثل الشائع، (العين تسمع والأذن ترى)" ٣٤

المراجع والمصادر

١٠. محمود تيمور. اتجاهات الادب العربى. القاهرة، (مكتبة الاداب). ١٩٧٠م ص ١٠٤.

٢٠. طه حسين. الايام:. قاهرة، دار المعارف الطبعة الخامسة، ج.٣ء ص ٤٢

٣٠. ايضا. ايضا. ص ٧١.٧٨

٤٠. شوقى ضيف دكتور. الادب العربى المعاصر فى مصر. قاهرة ، (دارلمعارف الطبعة الرابعة)، ١٩٧٩م ص ٢٧٨.

٥٠. غربال، شفيق. الموسوعة العربية الميسرة، قاهرة، (دارالشعب، ١٩٦٥)، ج ٢، ص ١١٦٤.

٦٠. محمود تيمور. اتجاهات الادب العربى.(ايضا. ايضا.)، ص١٠٢ ـ ١٠٥

٧٠. طه حسين. فى الادب الجاهلى. القاهرة، (دار المعارف،الطبعة ١٣)، ١٩٧٩م ص ٥ ـ ٦

٨٠. طه حسين. ايضا. (ايضا. ايضا.)، ص٦٧.٦٨

٩٠. طه حسين. حديث لاربعاء. مصر، (دار المعارف الطبعة١٣)، ج.١ ص ٩، ١٧٣

١٠٠. طه حسين. ايضا. (ايضا. ايضا)، ج.٢ ص ٣، ١٤، ٢٠، ٢٧، ٥١،٦٣ ١٢٨، ١٨٨، ٢٣٩، ٢٥٧.

١١. طه حسين. (ايضا. ايضا)، ج ١ ص ٥

١٢. الياس سركيس. معجم المطبوعات العربية. قم،(مكتبه آيت الله المرعشى ايران)،ج٢، ص ١٤٤٣، ١٤٤٤

١٣. شوقى ضيف. الادب العربى المعاصر فى مصر. (ايضا. ايضا)، ص ٢٧٧، ٢٧٩

١٤. الميمنى، عبدالعزيز. ابى العلا المعرى وما اليه. القاهرة،(دارلكتب المصرية ١٩٣٦م)، ص ٣

١٥. شوقى ضيف. ايضا. (ايضا. ايضا)، ص ٤٧٩

١٦. طه حسين. احاديث. بيروت، دارالعلم للملايين، (الطبعة ٨) ١٩٨٨م ص

١٧. طه حسين. الايام. قاهرة، دارالمعارف، الطبعة ٢٩، ١٩٧٩م ج.١

١٨. طه حسين. رحلة الربيع والصيف. بيروت، دارلعلم للملابين، الطبعة ٦، ١٩٧٧ء)

١٩. طه حسين. على هامش السيرة. القاهرة، (دارالمعارف الطبعة الحادى عشر)

٢٠. طه حسين. من حديث الشعر والتشر. مصر،(دارالمعارف، ١٩٥٧م)

٢١. طه حسين. من بعيد. بيروت، (متكبة المدرسة ١٩٣٥م)

٢٢. طه حسين. اديب. مصر،(دارالمعارف، ١٩٦٣م)

٢٣. طه حسين . مع المتنبى. بيروت،(مكتبة المدرسة ١٩٦٥م)

٢٤. طه حسين. القصر المسحور. بيروت، (مكتبة المدرسة١٩٨٣م)

٢٥. طه حسين. مستقبل الثقافة فى مصر . بيروت، (دارالكتاب اللبنانى، ١٩٨٢م)

٢٦. طه حسين. الوعدالحق. بيروت، (مكتبة المدرسة، ١٩٨٣م)

٢٧. طه حسين. المعذبون فى الارض. بيروت، (مكتبه المدرسة، ١٩٣٥م)

٢٨. طه حسين. احلام شهرزاد. قاهرة، (دارالمعارف ١٩٤٣م)

٢٩. طه حسين. صوت باريس. مصر، (دارالمعارف ١٩٨٢م)

٣٠. طه حسين. شجرة البئوس. مصر، (دارالمعارف ١٩٤٥م الطبعة ١٣، ص٥)
٣١. طه حسين. الحب الضائع. قاهرة، (دارالمعارف، ١٩٣٧م)
٣٢. طه حسين. جنة الحيوان. بيروت، (دارالمعلم للملايين الطبعة ١٥، ١٩٧٧ م)
٣٣. طه حسين. بين بين. قاهرة، (دارالمعارف الطبعة ٧، ١٩٧٧م)،ص ٥، ٣١
٣٤. ك، ملاخ. قاهر الظلام. قاهرة، (دارالكتاب الجديد الطبعة الثانية ١٩٧٤م)، ص ١٠٤، ١٤٢، ١٩